ROUTE
EDUCATIONAL & SOCIAL SCIENCE JOURNAL
ISSN: 2148-5518

Volume 12, Issue 2, March 2025, p. 48-64

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
23/02/2025
Received in revised form
28/02/2025
Available online
15/03/2025

EDUCATION IN SUB-SAHARAN AFRICA FROM THE FIFTH CENTURY AH TO THE TENTH CENTURY AH

Farah Mustafa Qasim Hassan Al-Moussawi [1]

Abstract

After the advent of Islam, Sudan witnessed many changes, the most important of which was education. After the spread of Islam, it was necessary to teach the Arabic language because it is the language of the Holy Quran. In addition to that, it was necessary to learn the Sharia and doctrinal sciences. Therefore, the rulers and the people were keen to learn and attract scholars. The land of Sudan was fertile ground for them to plant the seeds of knowledge in it, as well as to learn about new horizons presented to them with the advent of the Islamic religion. Therefore, it is necessary to learn to keep pace with the great development that occurred in the country.

Keywords: Education, Khalwa, Dara, Vacations, Jurisprudential Sciences, Teaching Curricula.

[1] Dr. College of Islamic Sciences / University of Baghdad, farah.m@cois.uobaghdad.edu.iq.

التعليم في افريقيا جنوب الصحراء من القرن الخامس الهجري وحتى القرن العاشر الهجري

فرح مصطفى قاسم حسن الموسوي [2]

ملخص

شـهدت افريقيا جنوب الصـحراء المعروفة بأسـم بلاد السـودان بعد دخول الاسـلام اليها الكثير من المتغيرات كان اهمها هو التعليم فبعد ان انتشـر الاسـلام كان لابد من تعليم اللغة العربية لكونها لغة القران الكريم اضـافى الى ذلك تعلم العلوم الشـريعة والعقائدية لذلك جد الحكام والشـعب بالتعلم واسـتقطاب العلماء فكانت ارض افريقيا جنوب الصـحراء بالنسـبة لهم ارض خصـبة لزرع بذورالعلم بها، كذلك التعرف على افاق جديدة قدمت لهم بقدوم الدين الاسلام لذلك لابد من التعلم لمجاراة التطور الكبير الذي حصل في البلاد .

الكلمات المفتاحية : تعليم ،خلوة،دارة ،اجازات ،علوم فقهية،مناهج تعليم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين.

يعرف التعليم بصورة عامة هو عملية نقل المعلومات من المصدر الى المتلقي وان اختلف الوسائل والطرق لكن الهدف الاساسي هو عملية النقل ، يمكن القول ان التعليم في افريقيا جنوب الصحراء وان اختلف من بلاد الى اخرى الا ان الركزية الاساسية التي اثمرت عن نظام التعليم هو نشر الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية سواء كانت عربية او من الشمال الافريقي فنجد الكثير من التطابق في المذاهب وطريقة التعليم فقد سعى الملوك الى استقطاب العلماء وتوفير الضروف الملائمة لهم ، كما نجد السعي لدى ابناء البلاد للذهاب الى الحواضر العلمية المختلفة من مشرقية ومغربية من اجل الحصول على العلم والقدوم به لبلادهم وتقديمه للناس .

عرفت افريقيا جنوب الصحراء بانها مقسمة الى ثلاث اجزاء سودان شرقي واوسط وغربي وان الطبيعة السكانية متفاوته به لذا فقد بينت في البحث عدة نقاط وضحت فيها طبيعة نظام التعليم وكيف اختلف من من جزء الى اخر في البلاد ،ثم انتقلت الى المراحل الاساسية التي مر بها وهي بصورة عامة ثلاث مراحل ،ثم انتقلت الى طرق الدراسة وكيفية الحصول على الاجازات العلمية ، اماكن التدريس والمناهج المتبعة في الدراسة واهم الحواظر التي شهدت نهضة علمية ساهمت بنقل العلوم المختلفة الى بلاد السودان ، والختام ببعض الاستنتاجات التي توصلنا لها في البحث تليه قائمة بالمصادر والمراجع المستخدمة في الكتاب ولا ننسى اهمية

[2] كلية العلوم الاسلامية / جامعة بغداد.

الرسائل والاطاريح والمجلات العلمية التي مدت البحث بمعلومات غنية ووفيرة كما ساعدت في الوصول الى المصادر .

تمهيد

عرفت الشعوب التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى بأسم بلاد السودان وهذه التسمية مأخوذة من لون بشرتهم (خسرو.، 1983م،ص81) وهي تمتد من بحر القلزو شرقاً وحتى بحر الضلمات غرباً ومن الشمال الصحراء الكبرى الى الجنوب الغابات الاستوائية (الاصطخري، 2002م ،30).

تنقسم بلاد السودان حسب المصادر التاريخية التي تكلمت عنها الى ثلاث اقسام فالقسم الشرقي يشمل الحوض الاعلى والاوسط لنهر النيل وروافده جنوب بلاد النوبة وهي اول أمم السودان ،اما السودان الاوسط فيمتد شرقا من بحيرة تشاد الى ثنية نهر النيجر في الغرب ،والسودان الغربي يمتد من ثنية نهر النيجر شرقا الى المحيط الاطلسي غربا، وهذا القسم ظهر بشكل واضح لدى الجغرافيين في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي (الهمذاني.، 1884م ،ص20).

عرف السودان الشرقي الاسلام منذ ان ظهر الاسلام في مكة فكانت ارض الحبشة هي اول ارض هاجر لها المسلمون الاوائل (الالوري،، 2014).

والسودان الغربي عرف الاسلام في القرن الاول الهجري على يد عقبة بن نافع (الاثير، 1994م، ج3،ص431).

على الرغم من المصادر التي ذكرت ان الاسلام دخل في القارة الافريقية منذ القرن الاول الهجري الا ان الاسلام لم يتغلل وينتشر بصورة فعلية الا بعد القرن الخامس الهجري وذلك يرجع للعديد من الاسباب نذكر منها :

قوة ملوك الحبشة في السودان الشرقي وسيطرتهم على الاراضي فعلى الرقم من ظهور مدن الطراز الاسلامي على الساحل الشرقي الا ان السيادة الفعلية كنيسة المسحية والوثنية (الدجيلي، 1980م،162).

اما السودان الاوسط فالى القرن السابع الهجري يدينون بالوثنية ويرجع الفضل الى الى العلامة الفقيه محمد عبد الكريم المغيلي (ت899هـ/1493م) الى نشر الاسلام (الدالي، 2008م،ص142).

بعد ذلك دانت اقطاره بالاسلام وعمل الملوك بالنظام الاسلامي وكان للعلماء والفقهاء دور كبير في نشر وتعليم الاسلام .

اولا: طبيعة نظام التعليم في بلاد السودان

عرفت بلاد السودان بكونها بلاد واسعة جدا قسمها لنا المؤرخون الى ثلاث مناطق ضمت كا واحدة منها العديد من الدويلات والممالك اختلفت فيما بينها بطبيعة الديانه والمعتقد لكن المكون الاساسي وهم السكان في جميع البلاد امتازوا بالتفاوت الطبقي فبما يخص التعليم لم يكن متاح لجميع ابناء المجتمع بمعنى ان الاباء

الذين يمتلكون الرقيق كانوا يستخدمونهم في الرعي والزراعة فكانوا بذلك لايحتاجون الى ابنائهم للقيام بهذه الاعمال وبالتالي يستخنون عن خدماتهم في فترة الدراسة فتكون لهم فرص اكثر في التعليم .

ان ذلك يوضح لنا ان نظام التعليم في بلاد السودان لم يكن في بداية الامر مركزي اي تابع للدولة وانما كان بحسب قدرة الفرد ورغبته في التعلم ، اما الهدف من التعليم فكان للتفقه ونشر الدين الاسلامي واللغة العربية فكان اساسه هو تعليم القران وحفظه (الحاج، 2017م، ص174).

كما عرف مجتمع بلاد السودان مجتمع رعوي زراعي لايعرف النقد وطرح الاسئلة والبحث المتواصل فهذا يساعد على الحفظ والقبول بما يرد عن الشيخ دون مناقشة وبذلك كانت للشيوخ والعلماء هيمنة مطلقة على الحياة الفكرية وهذا يوضح سبب انتشار المتصوفة بشكل كبير كذلك المزج بين الموروثات القديمة والدين الاسلامي بما يلائم طبيعة فكرهم وبالتالي ظهور حركات دينية لتصحيح المسار الاسلامي (المغيلي، 1974م، ص35) (رمضان، 2015م،ص40) .

أن الطابع الذي ساد على التعليم في بلاد السودان هو الطابع المغربي اذا ان مدارس ومساجد التعليم في بلاد السودان كانت على غرار ماهو موجود في المغرب العربي الاسلامي فأن أثره واضح بصورة كبيرة على تجويد القران وكتابة الخط والحروف العربية اذ كانت تكتب على الطريقة المغربية فضلا عن التوافد المستمر على بلاد السودان من القرن 2هـ وحتى 9هـ فبرز العديد من العلماء الذين كانوا لهم دور بارز في التاثير على ثقافة السكان المحلية (الوزان، 1983م) (اسكان، 2004م)

ثانيا : مراحل التعليم في بلاد السودان

مر التعليم في ثلاث مراحل وهي:

المرحلة الاولى: اسس القراءة والكتابة وحفظ القران الكريم

عندما يبلغ الطفل عمر السابعة من العمر يعهد به والده الى معلم من اجل تعلم القراءة والكتابة وحفظ النصف الاخير من القران الكريم من خلال السماع والتلقين ويصف حسن الوزان (وصف افريقيا ،ج2، ص168.) هذه الطريقة " يعلمهم المعلم القراءة والكتابة ليس في كتاب معين بل الاستعانة بالالواح الخشبية كبيرة يكتب عليها التلاميذ ويقتصر الدرس في كل يوم على اية من القران الكريم ويختم الطفل الطفل القران في سنتين او ثلاث سنوات ثم يستأنف ذلك عدة مرات الى ان يجيد الطفل تعلمه بصورة متقنة جدا ويحفظه عن ظهر قلب او قد يدركه بعد انقضاء مدة سبع سنين ثم يعلم المعلم الاولاد بعد ذلك قليلا من الخط".

ويجتهد المعلم في تعليم الصلوات الخمسة وادائها يصبح اجباري في سن العاشرة حيث يتعرض الصبي الى انواع العقوبات والضرب اذ لم يواظب على تأديتها في اوقاتها ويكون الاب هو المسؤول عن مراقبته (الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء ،ص163، د.ت).

ويحصل المعلم على مبلغ من المال كل اسبوع من اهل الطفل حسب وضع الاسرة الاقتصادي (المهندس، 2017).

المرحلة الثانية: تعلم المبادئ الفقهية

يتم التعليم في هذه المرحلة في المساجد يحصل فيها الطالب على عدة دروس تخص الفكر الاسلامي من فقه وحديث وكذلك اللغة العربية وعلم الكلام والتفسير وتكون كتب مبسطة ومن يتولى تدريسهم يعرف بالشيخ (زبادية، 1977) .

المرحلة الثالثة: الاختصاص

يكون مستوى التعليم اوسع ويختص بعلم معين يحل عليه اجازة من شيخه تكون دليل على قدرته بانه يكون معلم به وقد يذهب بعدلا ذلك الى المغرب الاقصى او دويلات المشرق بهدف حضور مجالس لعلماء متضلعين في اختصاصه (الكانمي، 1987).

ان اغلب الشيوخ لم يكونوا يستخدمون كتباً بل كانوا يملون الدروس على التلاميذ من ذاكرتهم فكانوا يقولون العلم في الرأس لا في الكراس ، كما ان القران يقسم الى سور تحفظ عن ظهر قلب تكتب على الواح من الخشب وتمسح بالماء بعد حفظها لتكتب عليها سورة جديدة وتكون الالواح من نجارتهم على شكل شبه مستطيل ويكون لها مقبض من الاعلى والاقلام من الخشب او البوص مستطيلة الشكل اما الحبر يصنع من ادوات محلية (الحاج، 2017م، ص174) .

ثالثاً: طرق الدراسة في بلاد السودان

كان التدريس على شكل حلقات اذ يجلس الطلبة حول اساتذتهم في حلقة وكل كالب يلتحق بحلقة ما حسب رغبته في المادة التي يكون الأستاذ بصدد ألقائها وكانت الطريقة الشائعة في مسجد جامع سنكري هو ان يملي الأستاذ رأيه في المسائل على طلبته وبعد ذلك يقرأ الطلبة في الكتاب المقرر بحضور الأستاذ ثم يطلب كل واحد منهم توضيح على كل شيء شكل عليهم واثناء ذلك يقيد الطلبة التفسيرات التي يعطيها الأستاذ جواباً على استفساراتهم (زبادية، ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر الميلادي ، 1977م).

كان الأساتذة في تدريسهم ذوي صبر كبير في التعليم لإيصال الفائدة لطلبتهم من غير كلل ولا ملل كمل لم يلتزموا بتدريس مادة معينة بل انهم كانوا يتصدون لتدريس مواد عديدة وعلى الرغم من هذا فانهم لا يدرسون الا المواد التي اتقنوها وأجيزوا فيها (جالو، 1993م)

ألحقت الحجرات الدراسية بالمسجد وتعددت هذه الغرف حيث خصص لكل معلم مع تلاميذه غرفة لها باب نحو ساحة المسجد ليتجهوا منها الى قاعة الصلاة وباب اخر نحو الخارج لينصرفوا منها بعد انتهاء الدرس (التنبكتي، 2000م)

ايضا من طرق التعليم كان هنالك عقوبة بدنية تسمى الفلقة يعاقب بها الشيخ المذنبين او المهرجين من الطلاب حيث كان يجلس الشيخ على عنقريب صغير ويلقى بالطالب على الارض ويرفع راحة قدميه مع ضمها الى الاعلى وينهال الشيخ ضربا بالعكاز او العصا التي تصنع من فروع السلم وغيرها اي الضرب على

اخمص القدمين وهي عقوبة غير مبرحة ولكنها مؤلمة (الحاج، لمحات من تاريخ مملكة الفونج ،ص180، 2017م؛ الحاج، 2017).

رابعاَ: الاجازات (الشهادة)

ويقصد بها الشهادات كما عرفته البلاد العربية الإسلامية وقد كشفت هذه الاجازات مدى عمق ارتباط الطلاب بالعلماء والعلاقة المتميزة التي يجري بها العمل اثناء التدريس والمدة التي يقضيها بعض الطلاب في حلقات العلم والدراسة والتتبع المستمر لسلوك الطلاب والوقوف على مدى تحصيلهم العلمي كان من ضمن أهتمامات الأساتذة المربيين وكان الأساتذة يمنحون الاجازات العلمية لبعض الطلاب بعد التأكد من تمكنهم من المواد التي يدرسونها لهم (الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء ،ص163، د.ت) (زبادية، 1977)

لم تكن تعقد اختبارات كما ان الدراسة لم تكن محددة بزمن معين وعندما يفرغ الطالب من دراسته يحصل على الاجازة يستطيع بموجبها فتح مدرسة ليعلم فيها سالكاً نفس المنهج الذي سلكه مع اضافة جديدة من تجربته ومحصول علمه الاضافي بعد ذلك (الحاج، 2017)

حرص الأساتذة كل الحرص في العبارات التي كانوا يكتبون بها الاجازات للطلاب بحيث ينحصر محتواها في نطاق المواد التي يتقنها الأستاذ المدرس ولا يتجاوز الى غيرها ويكون الطالب قد أطلع على معظم المؤلفات في تلك الموضوعات واجاد تحصيل المعلومات الموجودة بها ومعظم الاجازات التي كانت تعطى كانت فردية ان لم يكن جميعها (التنبكتي، 2000م) (الولاتي، 1981م).

اما طريقة الاجازة كانت بسيطة لكنها دقيقة لتتلاءم مع الطريقة التي تعتمد على تاكد الأستاذ بان الطالب قد احرز التمكن الكافي في المادة بعينها وأطمأن الأستاذ على مدى الكفاءة التي يكون الطالب قد حصل عليها (جالو، 1993م)

ومن أروع أمثلة الاجازة ما ذكرها لنا احمد بابا التنبكتي (التنبكتي، 2000م) عن أستاذه الذ أجازه بخط اليد حيث قال "لازمته أكثر من عشر سنين فقرات عليه بلفظي مختصر خليل وختمت عليه الموطأ قرأت تفهم والمدونه وألفية العراقي في علم الحديث مع شرحها".....

كان المعلمون في جميع انحاء بلاد السودان يحظون بأحترام كبير من قبل السلطة والأهالي ويشهد على ذلك كثرة أمكنة التدريس سواء في المساجد او منازل العلماء او الأسواق وهذا أكبر دليل على اقبال الناس على التعليم بشكل يلفت الانتباه واصبح لهم دور كبير في حياة الناس والمشاركة في الحياة السياسية حيث جرت العادة ان يدعوا الى ولائم العامة وأصبحوا حجر زاوية في جميع تصرفات الناس دينيا واجتماعيا مما يدل على شدة حب الناس لعقيدتهم وكان للطلبة مكانا أيضا بعد المعلمين وشاركوا معلميهم في الحفلات والولائم فقد جرت العادة في افراح الناس على استقبال الطلبة والمعلمين لانشاد القصائد المناسبة وتوزيع عليهم الهدايا (كعت، 2014م)، (المقريزي، 2000م)، (الناصري، 1956)

اما رواتبهم فكانوا يتقاضونها من الملك و الأوقاف التي هي من اهم مصادر سد احتياجاتهم وكان يشرف عليهم القاضي الذي يعد الاشراف على التعليم من اهم واكبر وظائفه حيث يوكل اليه الملك النظر على سير التعليم في بلاده (كعت، 2014م)، (ترمنجهام، 2011م)، (زبادية، 1977)

كما ان الشيخ او العالم الذي يمنح الاجازة فهو قد يكون تخرج او درس على يد علماء من السودان او من خارج بلاد السودان قد يكون درس في الازهر الشريف او جامع القيروان او درس في الحجاز (الحاج، لمحات من تاريخ مملكة الفونج الاجتماعي، 2017م، ص174).

خامساً : أماكن التدريس

1. الكتاتيب

هي جمع مفردها كتاب وهي موضع تعلم الصبيان واحيانا يطلق عليها المكاتب (هوارد، 1996م)تعتبر من أوائل أنماط التعليم وأشهرها، وهي أبسط مؤسسات التعليم، ويلتحق بها العديدمن أولاد المسلمين ذكورا وا ٍناث توجد في كل مدينة وقرية وهي عبارة عن غرفة ملحقة بالمسجد او في بيت الفقيه وفي القرى تكون تحت الشجرة في العراء وهي اول واهم مركز علمي في تربية وتعليم الاطفالوليست لديهم أوراقا، وا ٍنّما يكتبون على ألواح ناعمة بنوع من الحبر الأسود ويكتبون به بأقلام تشبه قلم الرصاص (جالو، 1993م)، (الدجيلي، 1980م،162).

2. المسجد

من اهم المراكز التي قامت بنشر الاسلام والثقافة العربية في بلاد السودان فكانت تقوم بدور تعليمي بارز ومن اشهر هذه المساجد مسجد القبلتين في زيلع إلى القرن السابع الميلادي، أي بعد فترة وجيزة من الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، ويعد مسجد القبلتين أقدم مسجد في مدينة زيلع، ويحتوي المسجد على ضريح الشيخ بابو دنا، على الرغم من أن معظم المسجد في الوقت الحالي في حالة خراب، الا أن هذا الصرح الإسلامي مازال يوضح ملامح اثنين من المحاريب وهما: واحد موجه نحو الشمال باتجاه مكة المكرمة، والآخر موجه إلى الشمال الغربي نحو القدس، ومن هنا أتى اسم المسجد ومسجد كلوة الكبير ومسجد فخر الدين زنكي في مقديشيو الذي اسسه السلطان الاول سنة 668هـ /1269م ومسجد ادريس ود الارباب 960هـ /1553م في مملكة الفونج ومسجد سيدي يحيى التادلسي ومسجد سنكوري وغيرها الكثير من المساجد المنتشرة في المدن والقرى في بلاد السودان (أمينة، 2016،ص13).

أصبح الأفارقة يهتمون ببناء المساجد التي باتت مكانا يقصدونه للعبادة والقراءة والكتابة، وحثهم على الوعظ والارشاد فإلى جانب كل مسجد غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد و أعتبر المسجد دار ا للقضاء ومنبرا للحث على الجهاد، كما اهتم المسجد و موظفيه بتقديم دروس في علوم اللغة والفلسفة التاريخية والنحواما طريقة التدريس التي تقدم للطلاب تتم على شكل حلقات يتصدرها الأستاذة بحيث يناقشون مسائل على أمهات الكتب والمؤلفات الكبيرة التي عرفها المسلمون (أمينة، 2016،ص13).

وبهذا أصبحت المساجد مركزا لترسيخ ونشر الثقافة العربية العربية الاسلامية في المنطقة فهو الذي شكل الانطلاقة الأولى لتخرج العلماء والصالحين واصبح جامعة يرتاد اليها الجميع وبفضله ازدهرت الحركة العلمية في المنطقة.

3. الرباط

ظهر في السودان الغربي وذلك لكون يرجع الفضل لترسيخ وانتشار الاسلام الى الطوارق الذي عرفوا بالمرابطيين وانطلاقا من الآية الكريمة " وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" يتضح "يتضح لنا، أن الرباطات طبيعة نشاطها عسكري ، ولكن في نفس الوقت اعتبرت منبرا من منابر نشر العلم و الحث على تلقينه، إذ كان الجندي فقيه وداعيه يعمل على الإرشاد والوعظ جميع انواع المعارف تدرس وتستوعب وتناقش باللغة العربية والمحلية فكان هنالك مترجم يحضر يوم الجمعة ليترجم للعامة خطبة الامام الذي هو في الغالب احد مساعدي الامام فيلخص المحتوى العام للخطبة وكذلك الامر في الاعياد اما دروس الوعظ ونشر الاسلام فان الايات والاحاديث التي يتلوها يقوم القائم بذلك يفسرها للناس ليفهموها، (أمينة، 2016،ص13).

4. المحضرة او الدارة

ظهرت في السودان الغربي نتيجة لحركة القوافل بين حواضر الصحراء فهي نموذج مميز ودور كبير في نشر الإسلام والعلم والمعرفة في إفريقيا فكان العلماء و الدعاء الشناقطة يجوبون البلاد الإفريقية المجاورة فيستقطبون من يلقون بالقيم والأخلاق الفاضلة والشعائر التي يؤدونها وبأحاديثهم إلى الناس وتعليمهم وعظهم (صمب، 1978).

5. الزويا

عرفت بلاد السودان بانتشار الصوفية التي كان لها دور بنشر الاسلام واللغة العربية وبذلك تكون الزوايا رافد علمي وفكري وقد انقسمت الى قسمين :

: تكون مختصة بتعليم القران الكريم للاطفال وهي بالقرب من المسجد .

:النوع الثاني عرفت بزوايا التربية تأسست في القرن 8 الهجري اسسها علماء في التصوف مكان للعبادة والتعليم باعتبار ان التصوف يخص بعلم الباطن وكان هدفها معالجة النفس وتربيها كانت الزوايا تستقبل كل من يرتاد إليها من جميع المستويات الثقافية والفئات العمرية والاجتماعية ،فهي تستقبل المبتدئ كما تستقبل العالم فتجدد له معارفه وتوسعها وتعمقها ،كما يرتادها الفقير والميسور ،وتقدم لكل طالب ما يريد من معرفة حسب مستواه الثقافي وطاقة استيعابه ،وعليه فقد سهلت شروط التحاق بها لأنّ هدفها كان اسمى (أمينة، 2016،ص13)

6. المكتبات

حرص علماء بلاد السودان وحكامها على تكوين مكتبات علمية على غرار ما موجود في الشمال الافريقي وبلاد المشرق التي كان لها دور فعال في نشر العلم والاسلام واشهر هذه المكتبات مكتبة ال أقيت

(التنبكتي، 2000م) كما كان العلماء لا يمتنعون عن شراء او اعارة الكتب مهما كانت ثمينة ونادرة (المهندس، 2017).

7. بيوت العلماء

كان هنالك بعض العلماء من جعل منزله مكانا للتعليم واقاموا الحلقات العلمية يحضرها الطلاب وكل من يريد ان يثقف نفسه لذت تعد منازل العلماء من اهم المراكز العلمية وذكر لنا السعدي (السعدي، 1964) عند التحدث عن العلماء انه " ... يقرئ الناس صلاة الصبح اول وقته الى الضحى مدة وربما مشى للقاضي في امر الناس او يصلح بين الناس ثم يقرئ في بيته الى وقت الزوال ويصلي الظهر بالناس ويدرس الى العصر ثم يصليها ويخرج الى موضع اخر يدرس فيه للاصفرار او قربه وبعد المغرب يدرس في الجامع الى العشاء ويرجع الى بيته...." .

8. الخلوه

بدأ التعليم في دولة الفونج في السودان الشرقي بما يعرف بالخلوة التعلمية ومنها انطلق نظام التعليم فكانت تعتبر وحدة تعلمية اساسية وكانت هذه الخلاوي هي في ألاصل اراضي ملك لشيوخ وعلماء يقدمون بيها الدروس بعيد عن سيطرة الدولة وكانت هذه الاراضي تزرع لمساعدة الطلاب كما كانت الدولة تعفي اصحاب هذه الاراضي من الضرائب والعشور لما تقدمه من خدمة لابناء الدولة اضافى الى ان هؤلاء المعلمون يكتفون بما يقدمه اباء الطلاب من هدايا وهبات ،فنجد هنالك نوع من التكافئ بين ابناء الدولة لما يقدمه العلماء للطلاب من تعليم يساعد في تحسين ظروف البلاد وبالتالي يعود بالنفع على الجميع (الحاج، 2017) (اسكان، 2004م) .

سادساَ : مناهج التعليم وطريقة الكتابة

. **الفقه** : و نظرا لإقبال الأفارقة على العلم وشغفهم به، فقد درس العديد منهم على يد المسلمين في بلاد الأفارقة، سواء كان ذلك في بلاد السودان أو في مختلف حواضر العالم الإسلامي، من أجل تلقى تلك العلوم والتعمق فيها مثل "فاس، الأزهر القرويين، تلمسان، وعلى أثر ذلك ظهر علماء سودانيين بارعين في الفقه، أمثال: أحمد بابا التمبكتي الذي ترك كتابات عديدة في هذا المجال، و التي استفاد منها العديد من الطلبة السودانيين، إذا قدرت مؤلفاته ما يزيد عن أربعين مؤلفا في الفقه المالكي و النحو من بينها نذكر كتاب " نيل الابتهاج بتطريز الديباج" (السعدي، 1964).

ومن بين العلماء الذين ساهموا في إقبال الطلبة السودانيين علي التعمق في مجال الفقه واللغة،عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي ترك عدة كتابات، إذ ترك ما يعادل أربعة عشر مؤلفا معظمها في علوم الفقه و اللغة وقد أثرت كتاباته ايجابيا علي هؤلاء الطلبة ،إذ لم يجدوا أي صعوبة في تلقي هذا العلم ، حتى أصبحوا على درجة واسعة في معرفته و إتقانه (المغيلي، 1974م، ص35).

– **التاريخ** : من بين العلوم التي برع فيها الأفارقة علم التاريخ، وقد كتب فيه كل من محمود كعت صاحب كتاب "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش أكابر الناس، و ذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور و تفريق أنساب العبيد من الأحرار و عبد الرحمن السعدي صاحب كتاب تاريخ السودان، اللذين أنتجا انتاجا سودانيا قائم بذاته.

. **المخطوطات** : تطلق المخطوطة على جميع المواد التي كتبت باليد على الالواح الطينية و الاحجار ، وبعبارة اخرى المخطوطة هي ماخطتهه الايدي من الكتب و الرسائل سواء كتبت بيد المؤلف او ناسخ اخر بعده ، وبقي هذا الخطوط من غير طباعة (مبولا، 2015م).

الى جانب ما سبق كانت الكتب تعد من السلع الرائجة والمهمة في بلاد السودان فيذكر لنا الوزان (الوزان، 1983م) ان الكتب المغربية كانت تباع باثمان عالية جدا ووضح ذلك بقوله" ويباع الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتي من بلاد البربرويجني هذا البيع ربح يفوق بقية الاسعار". ومن هذه الكتب الموطأ ،مدونة الامام سحنون ،الشفا في التعريف بحقوق المصطفى،السيرة النبوية لابن هشام ،الصحاح ،الفية ابن مالك وغيرها.

. **العمليات الحسابية البسيطة:** كانت غالبية مجتمع بلاد السودان يمارس عملية التجارة فكانوا بحاجة الى المعرفة الحسابية لاسيما بعد انتشار الاسلام وقيام العديد من الممالك في بلاد السودان فكان لابد من معرفة كيف تتم التعاملات التجارية والعملة المستخدمة وفكانت العملة الشائع لدى السكان هي الودع فبها تتم عمليات البيع والشراء وكذلك نظام المقايضة فقد عرف سكان بلاد السودان لاسيما الغربي نظام مقايضة الذهب بالملح وهو عملة نادرة تاتي بالمرتبة الثانية بعد الذهب وقد اشار الى ذلك الوزان (الوزان، 1983م) " يكثر في بلاد البربر ولا وجود له في بلاد السودان ..." .

أما طريقة الكتابة فكانت على طريقة المغاربة وهو ماذكره القلقشندي (القلقشندي، د.ت) " وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة "

وبرزت في النصوص والوثائق والمخطوطات مع بعض الفروق فعلى سبيل المثال ان حرف (ف) توضع النقطة أسفل الحرف كما يكتب حرف (ق) بنقطة واحدة كما استخدم الخط الكوفي في كتابة الايات القرانية في المساجد (الدالي، قبائل الهوسا دراسة وثائقية، 2008م،ص142)

اما في الهوسا نجد التشابه الكبير بين اللغتين العربية والهوساوية فتلتقي اللغتان في ستة عشر صوت ساكن باستثناء بعض الاحرف تنطق باللغة الهوسا بصورة مختلفة عن العربية اذ ينطق ويكتب حرف (ط) عند الهوسا (غ) وكذلك حرف (ف) ينطق (ق) ،كذلك يتم التوافق بينهما في كثير من الضمائر (الدالي، قبائل الهوسا دراسة وثائقية، 2008م،ص142).

نجد ان التعليم ارتبط بالغة العربية لانها لغة القران الكريم فنجدها انتشرت في بلاد السودان بفعل الهجرات العربية اليها فقد اقامت الكثير من القبائل دويلات وممالك ساهمت في نشر اللغة العربية والاسلام

.كذلك دور التجار والعلماء ولا ننسى ايضا دور الحجاج الذين توجهوا من ارض السودان الى الحجاز من اجل طلب العلم والتعلم فرجعوا الى بلادهم محملين بذلك العلم فسعوا جاهدين في نشر ببلادهم .

أصبحت اللغة العربية لغة المخاطبات والمراسلات الرسمية داخل البلاد وخارجها فضلا عن كونها المستخدمة في التجارة والثقافة ،حتى ان الطبقة المثقفة في بلاد السودان اهتموا بتعلم اللغة العربية فأتقنوها قراءة وكتابة فكانت مراسلاتهم مع العرب دليل على ذلك (القلقشندي، د.ت)، كما اعتمد ملوك صنفي على عدد من الكتاب المغاربة لاجادتهم الكتابة باللغة العربية بصورة متقنه (السعدي، 1964).

وبذلك أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب في بلاد السودان والتبادل التجاري والثقافي بين السكان (ارنولد، 1970)

سابعاَ: المراكز العلمية في بلاد السودان

شهد نظان التعليم في بلاد السودان على اقبال كبير حيث حرص ملوك البلاد على استقطاب العلماء وتشجيع الابناء على التوجه نحو المراكز العلمية في الدول المجاورة اما اشهر المراكز التي ذاع صيتها في هذا المجال فهي كثيرة جدا يمكن أجمال بعض منها .

فعلى سبيل المثال نجد ان مدن الطراز (الدجيلي، 1980م،162) التي اشتهرت على الساحل الشرقي لبلاد السودان كان لها دور كبير في نقل الحضارة العربية الاسلامية للسكان اولا لكون ان اصولهم عربية وهم مسلمون وثانيا لنشر الدين الاسلامي فنجد ان التعليم بلغ اوجه في هذه الدويلات واصبحت مدن جامعية مشهورة اشتهرت بأتقان علمائها علوم معينة منها مدينة هرر التي اشتهر علمائها باتقان علوم اللغة العربية والتفسير والحديث ومدينة زيلع أشتهرت بالفقه الشافعي (المقريزي، 2000م).

عظمة حكام مملكة اوفات وتفانيهم في نشر الاسلام ساعد على تدريس الدين واللغة العربية وكانت الدواووين تدون على الطريقة الاسلامية وقضاة وائمة ممساجد مما استدعى الحاجة الى وجود طبقة متمكنة من الثقافة الاسلامية (الدجيلي، 1980م،162)

اما الاوسط فقد ظهرت بها الكثير من المراكز الحضارية مثل مسجد التوابين الذي بناه محمد بن علي التواتي سنة 920هـ/1514م لتأدية فريضة الصلاة وتدريس العلوم الاسلامية (الدالي، التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء ،ص163، د.ت) ، والجامع الكبير الذي قام ببنائه الاسكيا محمد عند عودته من الحج وجعله مؤسسة تتعلمية اضافة الى دوره للعبادة وقد ارتاده علماء من المغرب والمشرق والاندلس (الدالي، قبائل الهوسا دراسة وثائقية، 2008م،ص142).

كما عرف بالسودان الغربي الكثير من المراكز العلمية اشهرها مدينة تنبكتو التي بحكم موقعها التجاري على طريق القوافل التي تربط شمال افريقيا بالسودان الغربي ازدهرت في مجال التعليم ونشر الثقافة اذ انتشر البربر يعلمون القران والكتابة العربية وشيدت المساجد التي أصبحت معاهد علمية وكان ابناء المشياخ يأتون اليها لتحصيل العلم (السعدي، 1964) ، وقد ذكر الوزان (الوزان، 1983م) ان بها عدد كبير من العلماء

وانهم يلقون التشجيع من الحكام الذين يقدكون لهم رواتب ويغدقون عليهم الاموال وازدهرت تجارة الكتب المخطوطة التي يجني من ورائها البائعين ارباحاً كثيرة مما يدل على اهتمام الناس وشغفهم بها.

مدينة نياني التي كانت حافلة بالعلماء والفقهاء وقضاة وخطباء وجميعهم يتمتعون بمكانة سامية لعبت دور ثقافي هام اذ لاتقل شيء عن الحواضر الثقافية العربية الاسلامية (بطوطه، 1996).

الاستنتاجات :

. انتشار الاسلام في بلاد السودان بالعديد من الطرق منها الهجرة والتجارة التي ولدت تعامل مع السكان فكانت لها تأثير فعال في نشر الاسلام بصورة سلمية وانتشر شيء فشيء وعلى فترات طويلة داخل بلاد السودان .

. هنالك عامل مهم جدا ساعد على ازدهار حركة التعليم في السودان الشرقي هي قرب هذه المراكز من الحضارة الاسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة فنزحت اليها جميع العلوم الموجودة انذلك وتنقل طلاب العلم في البلاد بحرية وامان ظهر جو علمي رائع اذ ظهر علماء جهابذه وحازوا شهرة واسعة ، ولا ننسى الصلات التجارية لكونها موقع التقى تجارة البحر الاحمر كل هذا له دور كبير في نشر التعليم

. اهتمام الحكام بالتعليم والعلماء والحث على استقطاب العلماء لبلادهم وارسال ابناء البلاد الى الحواضرالعلمية المختلفة .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الاولية :

ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي بن محمد الجزري(ت630هـ/1232م)، اسد الغابة في معرفة الصحابة, تح: علي محمد معوض, عادل احمد عبد الموجود, ط1, دار الكتب العلمية, (بيروت, 1415هـ/1994م).

الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد(ت346هـ/957م)، المسالك والممالك، تح: محمد جابر، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة، 1423هـ/2002م).

ابن بطوطه، **محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت779هـ/1377م)**، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار, تح: توم بريمر، أكاديمية المملكة المغربية، (الرباط, 1417هـ/1996م).

التنبكتي ، احمد بابا بن احمد بن عمر بن أقيت(ت 1036هـ/ 1626م) ،نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تح:عبد الحميد عبدالله الهرامة ،ط2،دار الكتب ،ليبيا،2000م

السعدي، عبد الرحمن بن عبدالله بن عمران(ت1066هـ/1655م)، تاريخ السودان، مطبعة هوداس، (باريس، 1384هـ/1964م).

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري(ت821هـ/1418م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت).

.)كعت،تاريخ الفتاش،ص124؛للمزيد ينظر: المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر(ت845هـ/1441م) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشيال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، (بو سعيد، 1421هـ/2000م).

المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر(ت845هـ/1441م) الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشيال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، (بو سعيد، 1421هـ/2000م).

المغيلي، محمد بن عبد الكريم(ت909هـ/1503م)، أسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زيادية، ط1، د. مط، (الجزائر، 1394هـ/1974م).

ناصر خسرو, أبو معين الدين الحكيم القبادياني(ت481هـ/1088م)، سفر نامة، تح: يحيى الخشاب, ط3, دار الكتاب الجديد, (بيروت، 1404هـ/1983م).

الناصري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب, (الدار البيضاء، 1376هـ/1956م).

الهمذاني، الحسن بن احمد بن يعقوب(ت334هـ/945م)، صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل, (ليدن،1302هـ/1884م) .

.**الوزان، الحسن بن محمد،(933هـ/1527م)، وصف أفريقيا، تر: محمد الحجي، محمد الاخضر، ط2، دار الغرب الاسلامي، (بيروت, 1404هـ/1983م).**

المراجع الثانوية

أرنولد ، **توماس**، الدعوة الى الاسلام، تر: حسن ابراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، ط1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1390هـ/1970م.

تريمنجهام ،، سبنسر،الاسلام في السودان، تر: فؤاد محمد عكود، المشروع القومي للترجمة، (مصر, 1432هـ/2011م). .

الحاج ،تاج السر عثمان ،لمحات من تاريخ مملكة الفونج الاجتماعي،ط2،الخرطوم ،2017.

الدالي ،الهادي المبروك،قبائل الهوسا دراسة وثائقية،ط3،دار الكتب الوطنية ،ليبيا،2008.

التاريخ الحضاري لافريقيا فيما وراء الصحراء ،د.ط،مكتبة الاسكندرية،د.ت.

ابن رمضان، زوليخة ،المجتمع والدين والسلطة في افريقيا الغربية ما بين القرنين 5و10هـ/ 11و16م, وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، (المملكة المغربية، 1436هـ/ 2015م).

س هوارد:أشهر الرحلات في غرب افريقيا، ترجمة عبد الرحمان عبد الله الشيخ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1996.

صمب عامر :الأدب السنغالي العربي ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ،الجزائر ،1978.

الكانمي،احمد محمد،الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا،د.ط،القاهرة،1987.

المهندس ،فريد عبدالرشيد ،العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي ،ط1،المكتب العربي للمعارف ،القاهرة،2017.

الرسائل والاطاريح

أمينة ،باهه ،التعليم العربي الاسلامي في غرب إفريقيا من القرن الثامن إلى القرن العاشر الهجريين 14/ إلى 16 م ،رسالة ماجستير ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية،جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة،2016.

جالو، محمد الفا، الحياة العلمية في دولة صنغاي خلال الفترة842-1000هـ/1464-1591م، جامعة ام القرى، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، رسالة ماجستير، مكة المكرمة، 1993م.

الدجيلي، خولة شاكر محمد، العلاقات العربية الاسلامية مع الساحل الافريقي الشرقي حتى القرن التاسع الهجري، جامعة بغداد، كلية الآداب، أطروحة دكتوراه، بغداد,1980.

المجلات العلمية

زبادية ،عبد القادر ،ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر الميلادي ،المجلة التاريخية المغربية ،العدد 7،تونس ،1977م.

مبولا عبد الغني : إسهامات المغيلي في تطوير المخطوطات العربية في نيجيريا ، مجلة رفوف العدد السادس ، مارس ،2015 جامعة احمد دراية ،أدرار، قسم اللغة العربية.

Primary sources

- Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali ibn Muhammad al-Jazari (d. 630 AH/1232 AD), The Lion of the Jungle in Knowing the Companions, ed. Ali Muhammad Mu'awwad, Adel Ahmad Abd al-Mawjud, 1st ed., Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut, 1415 AH/1994 AD).
- al-Istakhri, Abu Ishaq Ibrahim ibn Muhammad (d. 346 AH/957 AD), al-Masalik wa al-Mamalik, ed. Muhammad Jabir, General Egyptian Book Organization, (Cairo, 1423 AH/2002 AD).

- al-Timbukti
- al-Sa'di, Abd al-Rahman ibn Abdullah ibn Imran (d. 1066 AH/1655 AD), History of Sudan, Hudas Press, (Paris, 1384 AH/1964 AD).
- Al-Qalqashandi, Ahmad bin Ali bin Ahmad Al-Fazari (d. 821 AH/1418 AD), Subh Al-A'sha fi Sina'at Al-Insha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, (Beirut, n.d.).
-)Kat, Tarikh Al-Fattash, p. 124; for more see: Al-Maqrizi Ahmad bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH/1441 AD) The Gold Cast in the Mention of Those Who Performed Hajj from the Caliphs and Kings, ed. Jamal Al-Din Al-Shiyal, 1st ed., Library of Religious Culture, (Abu Saeed, 1421 AH/2000 AD).
- Al-Maqrizi Ahmad bin Ali bin Abdul Qadir (d. 845 AH/1441 AD) The Gold Cast in the Mention of Those Who Performed Hajj from the Caliphs and Kings, ed. Jamal Al-Din Al-Shiyal, 1st ed., Library of Religious Culture, (Abu Saeed, 1421 AH/2000 AD).

Al-Maghili, Muhammad ibn Abd al-Karim (d. 909 AH/1503 AD), Askiya's Questions and Al-Maghili's Answers, ed. Abdul Qadir Ziyadiya, 1st ed., d.m., (Algeria, 1394 AH/1974 AD).

- Nasir Khusraw, Abu Mu'in al-Din al-Hakim al-Qabadiani (d. 481 AH/1088 AD), Safar Namah, ed. Yahya al-Khashab, 3rd ed., Dar al-Kitab al-Jadid, (Beirut, 1404 AH/1983 AD).
- Al-Nasiri, Shihab al-Din Abu al-Abbas Ahmad ibn Khalid, Al-Istiqsā' li-Akhbar Duwal al-Maghrib al-Aqsa, ed. Ja'far al-Nasiri and Muhammad al-Nasiri, Dar al-Kitab, (Casablanca, 1376 AH/1956 AD).
- Al-Hamadhani, Al-Hasan bin Ahmad bin Yaqub (d. 334 AH/945 AD), Description of the Arabian Peninsula, Brill Press, (Leiden, 1302 AH/1884 AD).
- Al-Wazzan, Al-Hasan bin Muhammad, (933 AH/1527 AD), Description of Africa, trans. Muhammad Al-Hajji, Muhammad Al-Akhdar, 2nd ed., Dar Al-Gharb Al-Islami, (Beirut, 1404 AH/1983 AD).

Secondary References

- Trimingham, Spencer, Islam in Sudan, trans. Fouad Mohamed Akoud, National Translation Project, (Egypt, 1432 AH/2011 AD)..
- Al-Hajj, Taj Al-Sir Othman, Glimpses of the Social History of the Funj Kingdom, 2nd ed., Khartoum, 2017.
- Al-Dali, Al-Hadi Al-Mabrouk, The Hausa Tribes: A Documentary Study, 3rd ed., National Library, Libya, 2008.
- The Civilizational History of Trans-Saharan Africa, n.d., Alexandria Library, n.d.

Ibn Ramadan, Zuleikha, Society, Religion and Authority in West Africa between the 5th and 10th Centuries AH/11th and 16th Centuries AD, Ministry of Endowments and Islamic Affairs, (Kingdom of Morocco, 1436 AH/2015 AD).

- S. Howard: The Most Famous Journeys in West Africa, translated by Abdul Rahman Abdullah Al-Sheikh, Egyptian General Book Authority, 1996.
- S. Amer, Senegalese Arabic Literature, National Publishing and Distribution Company, Algeria, 1978.
- Al-Kanemi, Ahmed Mohamed, Islamic Jihad in West Africa, 1st ed., Cairo, 1987.
- Al-Muhandis, Farid Abdel Rashid, Relations between the Marinid State and the Kingdom of Mali, 1st ed., Arab Office for Knowledge, Cairo, 2017.

Theses and Dissertations

- Amina, Baha, Arab-Islamic Education in West Africa from the Eighth to the Tenth Century AH 14/ to 16 AD, Master's Thesis, College of Humanities and Social Sciences, University of Jilali Bounaama, Khemis Miliana, 2016.
- Jalo, Mohammed Al-Fa, Scientific Life in the Songhai State during the Period 842-1000 AH / 1464-1591 AD, Umm Al-Qura University, College of Sharia and Islamic Studies, Master's Thesis, Mecca, 1993.
- Al-Dajili, Khawla Shaker Mohammed, Arab-Islamic Relations with the East African Coast until the Ninth Century AH, University of Baghdad, College of Arts, PhD Thesis, Baghdad, 1980.

Scientific Journals

- Zabadia, Abdelkader, Features of the Educational Movement in Timbuktu during the Sixteenth Century AD, Moroccan Historical Magazine, Issue 7, Tunis, 1977.
- Mboula Abdelghani: Al-Maghili's Contributions to the Development of Arabic Manuscripts in Nigeria, Rofof Magazine, Issue 6, March 2015, Ahmed Draya University, Adrar, Department of Arabic Language.